

نظرية التطور الموجه وموقف الفكر الإسلامي منها

م.د. وعد صبار محمد

كلية الإمام الأعظم / قسم سامراء

م.د. نجم عبد الله جواد

ديوان الوقف السني، دائرة المؤسسات الدينية و

الخيرية، أوقاف بغداد / الرصافة.

Guided evolution theory

And the position of Islamic thought from it

Dr. Waad Sabbar Mohamed

Workplace, Grand Imam College / Samarra
Department

Dr. Najm Abdullah Jawad

Workplace Sunni Endowment Office, Department of
Religious and Charitable Institutions, Baghdad /

Rusafa Endowments.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام الاولين والآخرين، وبعد. فان الواقع الذي نعيشه فرض علينا أزمت حديثة باتت تتخر في اصل المجتمع ولم تترك اصلا لم تتقدمه، ولعل ابرز مما جرى فيه خلاف وعلا من أجله الجدل هو نظرية التطور الموجه، فقد انقسم المجتمع إلى فريقين يتصارع كل منهم فكريا وعلميا حول اصل وجود الكون وما فيه من مادة حية او جامدة، ففريق المؤمنين يؤمن ان كل ما موجود في الكون من أجزاء الذرة إلى مكونات المجرة والكائنات الحية هي من صنع وخلق الله القادر على كل شيء، وهو من خلق المكان والزمان، بينما هو خارج هذا الزمكان ويتحكم فيه. وهذا الفريق من المؤمنين أنفسهم انقسموا الى فريقين، فريق يعتقد أن جميع أنواع الكائنات الحية قد خلقت خلقاً مباشراً من قبل الله من غير تطوّر، وفريق آخر يعتقد أن الله خلق الكائنات بجميع انواعها عن طريق التطوّر الموجه من غير القول بالصدفة والعشوائية. ويعتقد الملحدون الناكرون لوجود الله الخالق، ان كل ما في الكون من مادة وبضمنها الحياة، نشأت بالصدفة و تحكمت في تطورها الطبيعية والصدف العشوائية والطفرة الوراثية، و ليس القوانين المنظمة لها بقدره الله، وان وجدت قوانين فيزيائية ورياضية تسيّر الكون فهي ايضا وجدت بالصدفة، وليس هناك كائن قد تدخل في ايجادها و انتظامها هذا هو ايمان الملحدين.

الاختلاف الجوهرى بين الفريقين هو في ما يطلق عليه ب نظرية التطور لجارلس دارون . وما تطور عن تلك الفرضية من افكار حول اصل الانسان واصل الحياة من الأساس . ولا أريد الخوض في هذا البحث بكل تفاصيل نظرية التطور المتشعبة، وذلك لأن الخوض في تفاصيلها يطول جداً، وأن هذا البحث لا يسع لها، ولا سيما إذا علمنا أن هذه النظرية أخذت حيزاً وجدلاً واسعاً في الأوساط العلمية والفلسفية بين المؤيدين والمعارضين، ولذا سأقتصر على أبرز الاشكاليات والتناقضات والاعتراضات والتي وقع فيها أتباع هذه النظرية.

أهمية البحث: تبرز أهمية البحث في الأمور الآتية:

أولاً: استغلال الملحدين لنظرية التطور في تدعيم الموقف الالحادي؛ واعتبرت لدى أوساط كثيرة البديل الوحيد لفكرة الخلق، لذا كان لزاما كشف وفضح استارها، وبيان الاشكاليات والاعتراضات عليها، وتحصين المسلمين منها.

ثانياً: الواجب الديني للتصدي لكل الفلسفات والايديولوجيات المادية التي تنكر وجود الله وتحارب الاديان.

مشكلة البحث:

تمكن المشكلة في سعي الغرب لفرض فلسفاته المادية الالحادية على العالم الاسلامي، وذلك بصيغ العالم بهذه الفلسفات وتصديرها الى العالم كافة، وتكمن أيضا بوجود نخبة من العلماء تأثروا بهذه الفلسفات، فعملوا على تعميمها وتسويقها الى مجتمعاتنا الاسلامية؛ الأمر الذي يتطلب الوقوف على هذه الفلسفة وبيان اشكالياتها وتناقضاتها وخطرها على الدين والأمة الاسلامية.

وتكمن المشكلة أيضا من أن نظرية التطور خرجت من كونها مجرد نظرية علمية الى ايديولوجية وفلسفة معينة لدى الكثير.

أهداف البحث:

بيان مواطن ضعف هذه النظرية من خلال كشف مواطن الضعف فيها، والاعتراضات التي أحيطت بها.

بيان التزييف العلمي الذي قام به الداروينيين في تثبيت وتدعيم أركان هذه النظرية.

بيان آثار هذه النظرية على الفكر البشري وانسحابها على الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاخلاقية.

بيان بعض الادلة والبراهين التي فندت هذه الفرضية والأسس الواهية التي قامت عليها.

منهجية البحث:

اعتمدت في دراسة البحث على المنهج الوصفي والنقدي في بيان بعض أصول نظرية التطور التي اعتمد عليها أصحابها، ومن ثم نقدها عن طريق بيان الأخطاء العلمية والمغالطات العقلية والفلسفية التي شملت هذه النظرية.

خطة البحث:

تكون البحث الذي أسميته (نظرية التطور الموجه وموقف الفكر الإسلامي منها) من مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة، وخطتها على الشكل

الآتي:

المقدمة: وتضمنت العناصر الآتية، أهمية البحث، مشكلة البحث، أهداف البحث، منهجية البحث، وخطة البحث.

المطلب الأول: مدخل تعريفي:

المطلب الثاني: التصميم الذكي يتصدى لنظرية التطور.

المطلب الثالث: دحض ادعاء الإجماع.

المطلب الرابع: دحض القول بالسلف المشترك.

المطلب الخامس: توظيف نظرية التطور لدعم التيار اللاحادي.

المطلب السادس: التزييف العلمي.

الخاتمة، وشملت أهم النتائج، وقائمة بالمصادر والمراجع.

المطلب الأول: مدخل تعريفي:

وقبل تناول نظرية التطور لا بدّ من الوقوف على التعريفات التي تخص البحث، وعليه سنعرّف بالنظرية، ومن ثمّ بنظرية التطور بصورة عامة، ومن ثمّ بنظرية التطور الموجه.

١- تعريف النظرية: ((النظرية العلمية هي مجموعة من القوانين العامة التي يرتبط أحدها بالآخر ارتباطاً متسقاً يعتمد بعضها على بعض وهي جميعاً متعلقة بنوع واحد من الظواهر، بحيث إن مجموعة تلك القوانين المؤلفة للنظرية العلمية تفسر تلك الظواهر من كل جوانبها))^(١). وجاء في تعريفها أيضاً: ((النظرية هي بنية فكرية تتضمن مفهوماً يستطيع أن يفسر المشاهدات الموجودة، ويستطيع أن يتنبأ بمشاهدات جديدة))^(٢).

٢- نظرية التطور: تقوم نظرية التطور لدارون على فكرة: أن الكائنات الحيّة لم تخلق خلقاً مباشراً، وإنما انحدرت هذه الكائنات من سلائل من بعض الأنواع الحيّة المنحدرة، وعبر وسيلة الانتخاب الطبيعي، والتي رأى فيها الوسيلة الأكثر أهمية للتعديل، ولكنها ليست الوحيدة^(٣). وأكد دارون أنّ الانتخاب الطبيعي هو الذي سبّب الفروق الكثير بين الكائنات الحيّة، أو قانون البقاء للأصلح^(٤). وعلى هذا فالكائنات الحيّة جاءت مشتركة من أصل واحد أو أصول متعدّدة قليلة، وكان أصل هذه الخليّة كائناً حقيراً ذي خلية واحدة، وأخذ هذا الكائن بالتطور والنشوء فتشكّلت منه الأنواع الأخرى من الحيوانات المختلفة مع مرور الوقت، وهكذا أصبحت الكائنات بينها نسب مشترك من حيث أصل الحياة، ولم يوجد منها نوع واحد منها مستقلّ بشكل منفرد إلا أن يمرّ بسلسلة التطور^(٥). وتقوم نظرية التطور على أساسين اثنين:

١- الصدفة والعشوائية: تستند نظرية التطور على أساس الصدفة بشكل كامل، فالكون والحياة هما من نتائج الصدفة والعشوائية، والتطور كذلك ليس إلا سلسلة من الصدفة والعشوائية، ودارون يؤكّد هذا المعنى، حيث يرى أنّ الباب المصنوع نستطيع القول بأنّه من صنع الإنسان، ولكن لا نستطيع القول بأنّ الفصل المدهش الموجود في صدفة المحار ليس إلا نتيجة الصدفة، وليس من صنع كائن عاقل^(٦).
٢- الانتخاب الطبيعي: وملخصه أنّ الكائنات الحيّة التي لها مقدرة على التكيف الإيجابي مع البيئة هي التي تملك فرص البقاء أكثر من المخلوقات التي لا تملك هذه الصفات، فالطبيعة عند التطويرين هي من تصفّي وتنتخب الأنسب في الصراع الدائر من أجل البقاء^(٧). فالكائنات الحيّة تتنازع البقاء فيما بينها وبين الطبيعة، ويتسبّب هذا التنافس باحتفاظ الأنواع الحيّة بالصفات النافعة وتوريثها عبر الأجيال، وعن طريق قانون الانتخاب الطبيعي الناتج عن الصراع من أجل البقاء، تنمو الحياة وتتطور، وتتخلّص الكائنات الحيّة من الأنواع الفاسدة وتُبقى على الصالحة منها^(٨).

وتجنّب دارون أيّ ذكر عن تطور الإنسان في كتابه "أصل الأنواع" لكي لا يثير جدلاً في الأوساط الدينيّة، إلا أن كتابه أثار جدلاً واسعاً، وبعدها رأى أن ليس هناك ما يخسر، فنشر كتابه "ظهور الإنسان" سنة ١٨٧١م، والذي تناول فيه نشوء الإنسان بالتطور^(٩).

٣- التطور الموجه: ينقسم المعترضون على نظرية التطور الدارويني (تطور الكائنات الحيّة عن طريق الانتخاب الطبيعي بعد حدوث طفرات عشوائية بالصدفة) الى مجموعتين: الأولى: تنكر حدوث التطور كلية، وتؤيد مفهوم الخلق الخاص عن طريق الإله الخالق لجميع أنواع الكائنات الحيّة، كل على حدة، وهؤلاء يسمّون بالخلقويّون، والثانية: هي المجموعة التي تقرّ بحدوث التطور، وأن أنواع الكائنات الحيّة تشترك في أصل واحد، ولكنهم ينكرون العشوائية والصدفة في تفسير حدوث التطور، وتمثّل هذه المجموعة من العلماء مدرسة التطور الموجه^(١٠). ويمكن أن نلخص اهم ما يستند عليه الملحدون في نظريتهم في المطالب الآتية:

المطلب الثاني: التصميم الذكي يتصدّى لنظرية التطور

بعد أن قرر أصحاب الداروينية أن الكون يسير وفق قانون الانتخاب الطبيعي، الذي يتراكم عبر الايام والأعوام، ويقوم على المصادفة، جاءت فكرة التصميم الذكي لتتصدى لهذه النظرية، وتثبت أنّ الكون مصمم ومرتب وفق قوانين وخطّة مرسومة سلفاً، وأن الكون

وما فيه يسير وفق خطة محكمة لا يحيد عنها، ولهذا اعتبر التصميم الذكي من أشهر الأدلة التي اعتمد عليها المؤمنون في إثبات خالق للكون. أصبح برهان التصميم الذكي من أبرز الأدلة اليوم التي تُطرح في إثبات أن للكون خالفاً حكيماً مدبراً للكون، فقد أعيدت أطروحة التصميم بنهاية القرن العشرين على يد علماء الفيزياء والفضاء والكون والكيمياء بعد أن اكتشفوا أن الحياة تعتمد على مجموعة من قيم مصممة بشكل دقيق جداً، وبوجود هذه القيم بُني كوننا عليها، وأن الكون مشروع مصمم ومتقن من قبل مبدع عظيم هو الذي وضع فكرة القوانين المعادلات الرياضية القابلة للفهم والتأمل^(١١). فقد أصبح التصميم الذكي نظرية علمية تتصدى لنظرية التطور، ويُفسر به نشأة الكائنات الحية، ومفهومها أن نشأة الكون وطبيعة الكائنات الحية والجزئيات التي تتكون منها تحتاج لتفسير نشأتها وبقائها وعملها إلى نكاه، وأنه لا يمكن للعشوائية أن تفسرها، وامتد هذا المفهوم ليشمل مختلف العلوم^(١٢). وذكر علماء الطبيعة صفات وملامح إذا ما توفرت في الموجودات فلا يمكن أن تكون جاءت عن طريق الصدفة، وإنما لا بد لها من مصمم مبدع ذكي، ومن هذه الملامح:

١- التعقيد المتفرد: يذهب المهتمون بمفهوم التصميم إلى أن الشيء إذا توفّر فيه بصمات الذكاء وعلامات التصميم مع التعقيد والتفرد، فإنه يكون من عمل مبدع ذكي أبداع في وضع بصمات أو توقيع نكاه على هذا العمل، ولا عمل للصدفة والعشوائية فيه^(١٣). ويمثل علماء البيولوجيا للموجود الذي يحمل التعقيد المتفرد بالدنا DNA الشفرة الوراثية التي تمثل معنى شديد التعقيد، وهذه الشفرة تحمل من التعقيد المتفرد ما يفوق كل اللغات المتعارف عليها^(١٤).

٢- التعقيد غير القابل للاختزال: من أبرز الأدلة التي تقف ضد العشوائية والصدفة، وتؤكد التصميم الذكي الموجود في أجزاء الكائنات هو التعقيد غير القابل للاختزال، حيث عرفه العالم مايكل بيهي بأنه ((نظام مفرد يتألف من عدد من الأجزاء المتوافقة والمتفاعلة المساهمة في وظيفة أساسية، وعند إزالة أحد هذه الأجزاء يؤدي ذلك إلى توقّف فعلي لوظيفة النظام))^(١٥). وكان دارون قد صرح بأنه إذا أمكن وجود أي عضو معقد لا يُرَجح أنه قد تشكل عبر العديد من التعديلات المتعاقبة والطفيفة، فإن نظريتي ستهار تماماً^(١٦). وجاء هذا النظام والدليل ليتحدى دارون ودوكنز من أن يفسروا بالصدفة والعشوائية نشأة الآليات الجزيئية شديدة التعقيد في الكائنات الحية، عن طريق التعديلات البسيطة المتعاقبة شديدة البطء التي يعمل بها التطور الدارويني^(١٧). ويضرب بيهي مثلاً على النموذج ذات التعقيد غير القابل للاختزال بـ "بمصيدة الفئران" والتي تتكوّن من خمسة أجزاء أساسية "قاعدة خشبية، خطاف الطعم، زمبرك، عمود معدني، ماسك الفأر" فكل واحد من هذه الأجزاء له وظيفة محدّدة لا غنى عنها، فإذا أزيل أي جزء منها ستوقّف المصيدة عن العمل نهائياً؛ لذا لا بدّ من وجود هذه الأجزاء الخمسة مجتمعة جميعها في وقت واحد حتى تصبح صالحة للعمل^(١٨). ومن الأعضاء والأجزاء المعقدة المدهشة الغير قابل للاختزال التي رصدها بيهي في دراسته، هو السوط البكتيري، وكيف أن هذا السوط الدقيق للغاية يحتوي على مائتي جزيء بالغ التعقيد، إذا جاء أحدها مكان الآخر أو اختفى، فإن منظومة السوط البكتيري تخنفي بالكلية، بالإضافة إلى ما يتمتع به من سرعة هائلة بمعدل عشرة آلاف حركة في الدقيقة، وهو قادر على تغيير حركته في جزء من أربعين ألف جزء من الثانية، حتى عدّه علماء البيولوجيا بأنه أكفأ آلة في الكون^(١٩). وسوط البكتيري كمصيدة الفئران إذا غاب جزء منها توقف النظام عن العمل؛ لذا لا بدّ أن يكون هذا السوط مخلوقاً بنظام متكامل من البداية لكي يعمل ويورث، ومن الاستحالة أن ينشأ عن طريق التطور بخطوات عديدة متتالية شديدة البطء كما التطور العشوائي، وهذه المنظومة متكاملة النشأة من البداية لا يقوم بها إلا المصمم الذكي القادر^(٢٠). ومن الأعضاء المعقدة الغير قابلة للاختزال، العين التي تتألف من أجزاء لطيفة ومنسجمة، حتى أن دارون بات حائراً أمام التعقيد الحاصل في العين، واعترف أنه من حماقة القول بأن الاصطفاء الطبيعي قادر على صنع العين مع كل ما تحتويه من أجزاء معقدة غير قابلة للاختزال، وعمل دارون جاهداً لكي يثبت أن العين جاءت نتيجة تطور مستمر عبر مراحل كثيرة، إلا أن علماء التطور رأوا أن كل المخلوقات الباصرة، كان عضو البصر فيها كاملاً ولم تقطع مرحلة التطور المتوسطة، بخلاف باقي الأعضاء الأخرى^(٢١).

المطلب الثالث: دحض ادعاء الإجماع:

يدعي المؤيدون لنظرية التطور أن العلماء اليوم كلهم قد اجمعوا على أن نظرية التطور أصبحت حقيقة علمية لا مجال للنزاع فيها، أن أمر صحتها وثبوتها محسوم باليقين. وهذا القول مخالف للواقع، إذ أن فرضية التطور لم يحسم أمرها بعد، وما زالت مثاراً للجدل والنقاش الحاد بين المؤيدين والمعارضين، وما زالت المجامع العلمية تتنازع حولها بشدة في كل محفل، وإن الرافضين لها ليس قليلاً، وشأنهم ليس ضعيفاً، فكثير من العلماء البارزين في تخصصاتهم، وهناك هيئات علمية كاملة أعلنت رفضها لهذه النظرية، حتى أن موقفاً خاصاً على الشبكة الإلكترونية أنشئ للعلماء المعارضين لفرضية التطور، وقد بلغ عددهم المئات، وهم مختلفون في توجهاتهم واختصاصاتهم العلمية، ولا

زالوا يقدمون الكثير من الأدلة والبراهين التي تضعف هذه الفرضية^(٢٢). وهؤلاء العلماء المعارضون لنظرية التطور والذين بلغوا مائة عالم، منهم علماء أحياء، وكيمياء، وعلماء حيوان، وعلم إنسان، وعلماء جزيئية وخلوية، وعلماء فيزياء فلكية، وغيرهم ممن حصلوا على درجات الدكتوراه من جامعات مرموقة مثل كامبردج وستانفورد وغيرها من الجامعات الأخرى، كل هؤلاء أكدوا أنهم متشككين من نظرية التطور، كما نشر هؤلاء العلماء وعلماء آخرون إعلاناً من صفحتين في مجلة قومية تحت شعار "انشقاق علمي حول الداروينية"، وشككوا في ادعاءات القدرة على التحول العشوائي والاختيار الطبيعي كسبب لتعدد الحياة، وأكدوا على وجوب تشجيع إجراء فحص دقيق للأدلة المؤيدة للداروينية^(٢٣). ولكن أصحاب الداروينية لم يعترفوا بالأراء المعارضة للنظرية، وأحاطوها بأسوار لحياتها من أي نقد أو إساءة، وقدموها المرتكز الأساس في نظامهم التعليمي، ولم يسمحوا لأحد بخدشها أو التشكيك بها؛ لأن أي مساس بها هو مس بالروية العالمية الحديثة!!^(٢٤). ومارسوا نوعاً من الإرهاب الفكري والتسلط والاستبداد ضد كل من يتصدى لنظرية التطور بالنقد والتجريح، واستهزأوا بكل المعلومات التي تقدم ضد نظرية التطور على أنها بالية ورجعية وعقائدية^(٢٥). وأقصى الداروينيون كل العلماء والكتّاب المخالفين لنظرية التطور، حيث تم فصلهم من الجامعات والعمل الأكاديمي، والفلم الوثائقي "المطرودون" يوثق ما قام به التطوريون من طرد الكثير من الأكاديميين والعلماء المشهورين من العمل الأكاديمي لمخالفتهم لنظرية التطور^(٢٦). ويذكر صاحب كتاب "التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا" عرفان يلماز، كيف تم مقاطعة خطاباته وإبعاده بالقوة من منصة المؤتمر الأكاديمي في جامعة اسطنبول؟! وكيف تم حذف أبحاثه من المؤتمرات؟! وكيف تم فصل أساتذة من وظيفتهم بسبب مناقشتهم لفرضية التطور والكتابة عنها؟!^(٢٧).

المطلب الرابع: دحض القول بالسلف المشترك:

يدعي الملحدون ان الانسان له جد مشترك مع القرد، فالقرد الانسان المدعو هيموهابليس كان يمشي على اربع قوائم، وتطور الى نصف قرد و نصف انسان يسير بقدمين منتصب القامة، ونما ذكاه تدريجيا بعد ان كبر حجم المخ والجمجمة فيه، وكان هو الحلقة المشتركة بين القرد والانسان الحديث .

ويرد على هذه بأدلة عقلية هي:

أ. إن هناك انقطاعاً وفجوة بين أشباه البشر والقردة، وهذا ما أقر به عالم الأحياء التطورية المعروف إرنست ماير، إذ أكد على أن أقدم أحافير البشر تعود الى المكتشف في بحيرة رودولف و الانسان المنتصب، ويفصلها عن القردة الجنوبية فجوة كبيرة، فكيف لنا أن نفسر هذا القفز المفاجئ الظاهري؟!^(٢٨).

ب. إن التشابه في البنية والتسلسل لا يؤكد وجود سلف مشترك بين الانسان والشمبانزي، ولو وجد سيارتا Mustang و Taurus متشابهتان الى حد كبير، وعليه فهل سنحتج بأن كلتا السيارتين قد تطورتا من أصل مشترك وهو "Ford"، والحقيقة أن هذا التشابه في السيارات ناتج عن التصميم المشترك وليس الأصل المشترك^(٢٩).

والحقيقة أن أوجه التشابه الظاهري بين الانسان والقرد لا تثبت شيئاً أبداً، فهناك بعض أوجه التشابه بين حشرة الكركدن وحيوان الكركدن، غير أن محاولة إثبات وجود علاقة ارتقائية بينهما (مع كون أحدهما حشرة والآخر حيواناً ثديياً) اعتماداً على التشابه بيثر السخرية، وبغض النظر عن التشابه الخارجي، فهناك اختلاف كبير وهائل بين الانسان والقرد من حيث إن الانسان كائن عاقل مدرك، ذو إرادة قوية، يستطيع أن يفكر ويتكلم ويفهم ويقرر، ولديه قدرة على الحكم على الأمر، وهذه الصفات كلها لا تتوفر لدى بقية المخلوقات، وهذا ما يجعل بينها وبين الانسان فجوة كبيرة، ولن يستطيع أي تشابه جسماني بين الانسان أي مخلوق أن يسدها^(٣٠).

وأعترف بعض العلماء عن عجزهم في إثبات السلف المشترك بين الانسان والقرد، وذلك من خلال صعوبة العثور على هياكل عظام تامة لقرد صغير أو هيكل لإنسان قديم، وأنّ جلّ ما عثروا عليه قليل من العظام وعلى أسنان محطمة، بالإضافة الى بعض المستحاثات آتية من أماكن مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض آلاف الكيلومترات، وهي مبعثرة في طول وعرض القارة القديمة^(٣١).

ت. أن التطور لا بد أن يستمر وما زالت الحياة من بداية كتابة التاريخ لم يتغير فيها لا شكل الإنسان إلى كائن اخر ولا وجدنا قرودا تحولت مرة أخرى إلى انسان، فان قيل أن التطور بطيء ويحدث في ملايين السنين كان هذا دليلاً على أصحاب النظرية، فان عمر الأرض كما يؤرخ له لا يكفي لعمر الطفرات التي يدعواها من خلية واحدة إلى كون متعدد الخصائص والوظائف.

ولذا فإن حصول التطور من الخلية الاولى الى منظومة الأحياء الحالية، يحتاج الى منظومة دقيقة جداً من القوانين والظروف الأولية، وهذه المنظومة الدقيقة يمتنع في قانون الاحتمالات أن تجتمع في هذه الحياة في عُمر هذه الأرض الفتية. وبعد أن درس بعض علماء الفيزياء عشر

مراحل لتطور الإنسان، وجدوا أن كل مرحلة من هذه المراحل العشرة مستبعدة من ناحية علم الاحتمالات الرياضي^(٣٢)، حتى إن إتمام مرحلة واحدة فقط يحتاج الى بلايين السنين^(٣٣). وهكذا فإن عمر الأرض أقصر من تقدير أصحاب مذهب التطور، وعمر الأرض أيضاً أقل مما قدره بكثير، فالتطور الذاتي في رأيهم ما يحتاجه من زمن غير متوافر في الواقع^(٣٤).

المطلب الخامس: توظيف نظرية التطور لدعم التيار الالحادي:

لقد ظهرت فرضية التطور لدارون سنة ١٨٥٩، وتمسك بها الملحدون لأنها وسيلتهم الوحيدة لأنكار الخلق و إنكار وجود الخالق. وقد استغل أصحاب الداروينية نظرية التطور من جوانب منها:

١- استغل اتباع الاتجاه المادي وغيره نظرية التطور أبشع استغلال في مواجهة الأديان، وفي إنكار الخالق، حيث بلغ ببعض الملحدين الشطط والتعسف والتمسك بهذه النظرية حداً كبيراً، وقد جاءت أقوالهم لتدل على ذلك، إذ صرحوا علناً من غير خجل ((إنّ نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبراهين، ونحن لا نؤمن بها إلا لأنّ الخيار الوحيد بعد ذلك هو "الإيمان بالخلق المباشر" وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه))^(٣٥). وصرحوا أيضاً إنّ ((أعظم إنجازات دارون هو الطريقة التي أوضح بها أنّ تطوّر الحياة هو نتيجة عملية طبيعية، اختيار طبيعي، دون أية حاجة للجوء إلى خالق))^(٣٦). وعلى هذا وظف الملحدون الجدد نظرية التطور في إسقاط فكرة الألوهية، وفي محاربة الأديان، وفي هذا يقول دوكنز أحد زعماء الإلحاد الجديد: ((إذا كان هدفك قتل الأديان مثلي فاستخدم نظرية التطور))^(٣٧).

ويرى الملحدون أن أعظم إنجازات دارون هو الطريقة التي أوضح بها أن التطور جاء نتيجة عملية طبيعية واختيار طبيعي من غير الحاجة الى اللجوء الى الإله الخالق، وأن الداروينية ساهمت في قطع العلاقة بين الانسان والإله، ونتيجة لذلك جعلت الداروينية الانسان تحت رحمة الرياح، تجرّفه في العالم حيث تشاء من غير هدف^(٣٨).

٢- عمد أصحاب نظرية التطور الى جعلها هدفاً متحركاً، فمع كل اكتشاف يناقضها يتم نقلها بعيداً عن مرماه بحيث يمكن دفن الاكتشاف أو التحايل عليه، فالعلم لم يثبت يوماً أن نظرية التطور صحيحة، وإنما كل فعله هو إعادة تعريف هذه النظرية لتوائم الاكتشافات العلمية الحديثة، فالعلم يعدّل باستمرار هذه النظرية لتتناسب مع البيانات الجديدة ومن ثم يدعي أن تلك البيانات تناسب نظرية التطور، وهذا ما أكدّه عالم الوراثة بجامعة هارفارد "Richard Lewontin" حين قال: ((إنّ التطور ليس حقيقة إنه فلسفة، يأتي المذهب المادي في المقام الأول كمقدمة بديهية، ومن ثم يتم تفسير الأدلة في ضوء هذا الالتزام الفلسفي غير القابل للتغيير))^(٣٩).

٣- استغلت نظرية دارون من قبل الملاحدة الماديين في الترويج لأفكارهم المادية الإلحادية، فقد كان لنظرية دارون الأثر البالغ على الماركسية، فماركس استمدّ أفكاره "المادية الجدلية" من كتاب أصل الأنواع^(٤٠). ومن الداروينية تولّد الفكر الماركسي والفرودي، واتّجهت الحياة في الغرب إلى المادية، فانفصلت مجالات النهضة العلمية والصناعية والحضارة والاستعمار والرأسمالية عن الدين، واتّجهت الحضارة نحو الاستهلاك عن طريق الانحلال وصناعة أساليب الترف والفساد^(٤١).

٤- ولم يقصر الداروينيون نظرية التطور في مجال العلم الطبيعي، بل سعوا إلى توسيع نطاقها لتشمل مجالات الفلسفة العقلية والحسية، والعلوم الأدبية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وصارت قاعدة أساسية في التعاملات الاجتماعية في أوروبا، حتى أصبحت عامّة الشعب الغربي داروينيين فعلاً وإن لم يحسنوه علماء^(٤٢).

وظف الغرب الداروينية الاجتماعية^(٤٣)، بالمفاهيم التي جاء بها دارون، "الانتخاب الطبيعي" و "البقاء للأصلح" و "الصراع من أجل البقاء" في تبرير التفاوت الطبقي في المجتمعات، وفي تبرير الاستعمار والغزو الامبريالي الغربي للعالم بأسره، فشعوب آسيا وأفريقيا الفقراء يستحقّون الفناء أو الخضوع والاستسلام للرجل الأبيض الغربي الأقوى والأصلح، ولأنّها شعوب ليس لها القدرة على البقاء^(٤٤). وما الإبادة الجماعية التي قام بها هتلر وستالين والحروب العالمية، ليست سوى صدى للفلسفات المادية والعلمانية التي حملت أفكار دارون ونيته و غيرهم. وساهمت النظرية في تعميق العنصرية والتفاوت الطبقي في الغرب، فطبقاً للتفسير الدارويني البيولوجي أنّ هنالك فارقاً بين الأبيض والأسود في الذكاء، وهذا راجع إلى العامل الوراثي، وأنّ الأسود خلُق للأعمال الشاقة؛ وذلك لأنّ جيناتهم مهياة لأدائها!!^(٤٥).

المطلب السادس: التزييف العلمي:

لقد ظهر للتطوريين والملحدين مكانا في الأوساط العلمية والإعلامية والجامعات بشكل واسع، لأنهم مسيطرون على مناصب التعليم والاعلام العلمي وعلى ميزانيات الابحاث العلمية و ادارة المتاحف العلمية والتاريخية.

ولا يتورّع أتباع فرضية التطور من تزييف الحقائق العلمية لإيهام الناس بصحة فرضية التطور، ولتتطابق مع فلسفتهم في الحياة، فهم يتقادون أي دليل علمي يناقض نظريتهم، وقد تمّ تزييف خمس عمليات كبرى منها تزييف صور الأجنة وجماجم إنسان، وتزييف إنسان، وعمليات التزييف هذه اكتشفها علماء غربيين، حيث صرّحوا بأنّ مئات من علماء الأحياء قاموا بعمليات التزوير والتزييف لإيهام الناس بصحة فرضية التطور^(٤٦). وهذا التزييف والتزوير من قبل التطوريين اعترف به أرست هيجل^(٤٧) في مقال له عام ١٩٠٨م في مقال تحت عنوان "تزوير صور الأجنة" أقرّ فيه بالتزوير، وقال: ((إنني اعترف رسمياً - حسماً للجدال في هذه المسألة - أنّ عدداً قليلاً من صور الأجنة نحو ستة في المائة أو ثمانية موضوع مزور ... إلى أن قال بعد هذا الاعتراف يجب أحسب نفسي مقضياً عليّ وهالكاً، ولكن ما يعزيني هو أن أرى بجانبني في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة))^(٤٨).

وذكر هارون يحيى في كتابه "خدعة التطور" الكثير من التزييفات العلمية التي قام بها أتباع نظرية التطور، والتزييفات كانت بتزوير عمر العيّنات المكتشفة، وتزييف العظام والجماجم والأدوات والمتحجّرات، فتمّ اكتشاف التزوير لإنسان بلنداون الذي اكتشف في انكلترا، وزعموا في هذا الاكتشاف أنّهم وجدوا عظمة فك وجمجمة فيها تشابه بين الإنسان والقرود، وأنّ عمرها يعود إلى خمسمائة ألف سنة، ولكن بعد مدة تمّ اكتشاف التزوير للجمهور، حيث وجدوا أنّ الجمجمة تخصّ إنساناً عمره خمسمائة سنة، بينما عظمة الفك السفلي تخصّ قرداً مات مؤخراً^(٤٩). ومن قصص التزييف للدلة التي يذخع الملحدون وانصار التطور بها الأوساط العلمية والناس، عثر مدير متحف التاريخ الطبيعي في ولاية نبراسكا الامريكية عام ١٩٢٢ على ضرس وحيد مجهول الهوية.

فاشتغل الخيال العلمي واسعا حول هذا الضرس اليتيم ، فاستعان مكتشف الضرس بالرسامين والنحاتين البارعين ليشكلوا من هذا الضرس المجهول شكلا بهيئة نصف انسان ونصف قرد الظاهر بالصورة ، ليبدو ان الضرس يعود لقرد في مرحلة التطور الى انسان. ودُرِسَ هذا الشكل في المدارس كدليل للتطوريين على انه احدى مراحل تطور القرد الى البشر ، ليؤكدوا صحة نظرية التطور من هذا الدليل _____دامغ .

بعد خمس سنوات على تمرير هذه الكذبة والخدعة المزورة ، وبعد دراسة دقيقة لهذا الضرس ، تبين انه يعود لخنزير بري! نشر هذا الخبر في مجلة العلم عام ١٩٢٧، وبعد كشف الفضيحة رفعت بعض المتاحف صورة و مجسم هذا الانسان المزيف من قاعاتها^(٥٠). بعد هذا الاستعراض يتبين أنّ نظرية التطور وبعد أن حشد أصحابها الأدلة لإثباتها نستطيع القول إنّها خرجت من كونها نظرية علمية مجردة إلى إيديولوجية وعقيدة لتدعيم فكرة الإلحاد، ومهاجمة فكرة الخالق والأديان، وهذا الموقف لا يخلو - وكما وضحنا في اثناء البحث - من مشكلة نفسية وتعصب وأتباع هوى من قبل الملاحدة تجاه الله والأديان.

الذاتة:

- ١- لم يثبت علميا وجود اي متحجرة او حفريّة قديمة تشكل الحلقة الرابطة بين القرد والانسان، وبهذا لم تثبت صحة نظرية التطور لدارون من ان القرد والانسان يشتركان بجد واحد .
- ٢- إن هذه الفرضية ليست حقيقة علمية ثابتة، وإنما نظرية وفرضية قابلة للنقد والتجريح والاعتراض، وينقصها الدليل والبرهان العلمي لتثبت علميا.
- ٣- إن دليل التصميم الذكي يعدّ من أشهر الادلة التي تدحض نظرية التطور، وتثبت أن للكون خالقا حكيماً مدبراً للكون.
- ٤- إن النظرية خضعت للتزييف العلمي من قبل بعض أصحاب الداروينية، وكما اعترف بعضهم بذلك.
- ٥- إبطال القول بأن هناك إجماعا علميا من قبل العلماء على إثبات هذه النظرية، ورأينا أن هناك المئات من علماء الغرب المرموقين المعارضين للنظرية.
- ٦- أن نظرية التطور أصبحت عقيدة وإيديولوجية تمسك بها أصحابها لتدعيم فلسفته المادية الالحادية.
- ٧- لم تقتصر الداروينية على الجانب العلمي، بل وظفت مقولاتها في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاخلاقية.

وأخيراً مادامت تلك الفرضية غير صحيحة، فلن يبق أمام الناس سوى الايمان بأن المخلوقات كافة ومنها الانسان هي من صنع وخليقة الله الذي أبدع في خلقه وصنع كائنات حية فيها من الأعضاء المتخصصة الوظائف كالقلب والعين والكلى والكبد و الدماغ والتي تقوم بوظائفها بشكل يعجز العقل ان يصدق انها نشأت بالصدفة وبطريقة الطفرات العشوائية ، ومن غير مصمم ذكي هو الله سبحانه.

الهوامش والمصادر والمراجع:

- (١) الاستقراء والمنهج العلمي، محمود فهمي زيدان، الوفاء، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٠٢.
- (٢) ينظر: العالم بين العلم والفلسفة، جاسم حسن العلوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط١، ٢٠٠٥م، ص٣٢.
- (٣) ينظر: أصل الأنواع، تشارلس داروين، ترجمة: مجدي محمود الميلجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م، ص٦٠.
- (٤) ينظر: أيقونات التطور علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ترجمة موسى إدريس وآخرون، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الاسماعيلية - مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص٥.
- (٥) ينظر: ظاهرة نقد الدين في الفلسفة الحديثة - دراسة نقدية، سلطان عبد الرحمن بن حميد العميري، رسالة دكتوراه في العقيدة، جامعة أم القرى، كلية أصول الدين - قسم العقيدة، السعودية، ٢٠١٥م، ص٤٨٩.
- (٦) ينظر: دارون ونظرية التطور، شمس الدين آق بلوت، ترجمة: أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة - مصر، ط٧، ١٩٨٠م، ص١٤.
- (٧) ينظر: تهافت نظرية دارون في التطور أمام العلم الحديث، أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص٥٨.
- (٨) ينظر: ظاهرة نقد الدين، سلطان العميري، ص٤٩٠.
- (٩) ينظر: خرافة الاحاد، عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص١٧٨.
- (١٠) ينظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠١١م، ص١٨٩.
- (١١) ينظر: العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي ووليم ديمبكي وستيفن ماير، ترجمة: رضا زيدان، مركز براهين للدراسات والأبحاث، الدار العربية للطباعة والنشر، الخبر - السعودية، ط١، ٢٠١٦م، ص٧٥-٧٦. وينظر: للكون إله - قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور، صبري الدمرداش، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢، ٢٠٠٦م، ص٦١١.
- (١٢) ينظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص٢٢٠.
- (١٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٢١.
- (١٤) ينظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، عمرو شريف، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠١٨م، ص٣٣٠.
- (١٥) صندوق داروين الاسود - تحدي الكيمياء الحيوية لنظرية التطور، مايكل بيهي، ترجمة: مؤمن الحسن وآخرون، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الاسماعيلية - مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص١٩٢.
- (١٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٧.
- (١٧) ينظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، عمر شريف، ص٣٣٣.
- (١٨) ينظر: المصدر السابق، ص٣٣٤. وينظر: العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي وآخرون، ص١٢٨.
- (١٩) ينظر: الإلحاد يسم كل شيء، هيثم طلعت، نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠١٥م، ص١١٤.
- (٢٠) ينظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، عمرو شريف، ص٣٣٥.
- (٢١) ينظر: خلق لا تطوّر، مجموعة من العلماء، ترجمة: إحسان حقي، دار النفائس، د ط، د ت، ص٤٤-٤٥. وينظر: الجائزة الكونية الكبرى - لغز ملاءمة الكون للحياة، بول ديفيز، ترجمة: محمد فتحي خضر، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة - مصر، ط٢، ٢٠١٣م، ص٢٣٢.

(٢٢) ينظر: ظاهرة نقد الدين، سلطان العميري، ص٥٥٩. نقلا عن: <https://www.discovery.org/scripts/viewDB/filesDB-diwnload.php?command=download&id=660>

- (٢٣) ينظر: القضية الخالق، لي ستروبل، ترجمة: سليم اسكندر وحنا يوسف، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص٣٩-٤٠.
- (٢٤) ينظر: التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا، عرفان يلماز، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٦.
- (٢٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٢.
- (٢٦) ينظر: تأملات في البواعث النفسية للإلحاد، رشود عمر التميمي، دار الوعي للنشر والتوزيع - فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، جدة - السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ، ص٣٢.
- (٢٧) ينظر: التطور نظرية علمية، عرفان يلماز، ص١٢.
- (٢٨) ينظر: العلم وأصل الإنسان، آن جوجر وآخران، ترجمة: مؤمن الحسن و موسى إدريس، دار الكتاب للنشر والتوزيع، الاسماعيلية - مصر، ط١، ٢٠١٤م، ص١٩.
- (٢٩) ينظر: المصدر السابق، ص٢٠.
- (٣٠) خديعة التطور - الانهيار العلمي لنظرية التطور وخلفياتها الأيديولوجية، هارون يحيى، ترجمة: سليمان بايبارا، د ط، د ت، نسخة خاصة بالمؤلف <https://www.noor-book.com/كتاب-خديعة-التطور-pdf>، ص١٨٢.
- (٣١) ينظر: خلق لا تطوّر، فريق من العلماء، ص٩٦.
- (٣٢) الاحتمال الرياضي: يضرب العلماء أمثلة على قانون الاحتمال، وهو لو أخذنا مسألة رياضية فيها ترتيب الأعداد من واحد حتى عشرة، ونكتب هذه الأرقام على أوراق، وبعدها نضع هذه الأوراق في كيس، ثم نخلط الأوراق جيداً ونحاول سحب ورقة واحدة، فإن نسبة ظهور رقم واحد هو ١:١٠ أما نسبة ظهور الأرقام من ١ و ٢ بالتسلسل فنسبته ١:١٠٠ أي "١٠ × ١٠ = ١٠٠"، أما احتمال ظهور الأعداد من (١، ٢، ٣) بالتسلسل هو بنسبة ١:١٠٠٠، وهكذا إلى أن نصل إلى احتمال ظهور من ١ إلى ١٠ بالتسلسل هو بنسبة واحد إلى عشرة مليارات، ولو أجرينا عملية السحب ليلاً ونهاراً بسحب ورقة كل خمس ثوان لاستغرق ذلك مئاً ألفاً وخمسمائة (١٥٠٠) سنة لكي يمكن سحب هذه الأرقام بالتسلسل. ينظر: دارون ونظرية التطور، شمس الدين آق بلوت، ص١٥. وينظر: العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، دار وحي القلم، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠١٣م، ص٢٩.
- (٣٣) ينظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر - السعودية، ط١، ٢٠١٨م، ص٤٩٨.
- (٣٤) ينظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩١م، ص٣٣١.
- (٣٥) الإسلام يتحدى - مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مكتبة الرسالة، د ط، د ت، ص٣٦.
- (٣٦) القضية الإيمان، لي ستروبل، ترجمة: حنا يوسف، مكتبة دار الحكمة، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠٠٧م، ص١١٤.
- (٣٧) ينظر: تأملات في البواعث النفسية للإلحاد، رشود عمر التميمي، ص٣١.
- (٣٨) ينظر: ظاهرة نقد الدين، سلطان العميري، ص٤٩٣.
- (٣٩) الداروينية والتنين المجنح - اختبار قابلية نظرية التطور للتخطئة، أحمد يحيى، دورية فصلية تصدر عن "مركز براهين" لدراسة الإلحاد من منظور علمي فلسفي شرعي، العدد (٣)، أغسطس ٢٠١٤م، ص٤٣.
- (٤٠) ينظر: عندما يتغير العالم، جيمس بيرك، ترجمة: ليلي الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، (١٨٥)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير ١٩٩٤م، ص٢٩٢.
- (٤١) ينظر: سقوط نظرية دارون، أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة - مصر، د ط، د ت، ص١٧.
- (٤٢) ينظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ترجمة: جورج طعمة، المركز القومي للترجمة، سلسلة ميراث الترجمة العدد (٢٢٢٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، د ط، ٢٠١٢م، ١٤١/٢. وينظر: الإسلام في عصر العلم، محمد فريد وجدي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط٣، د ت، ٧٩٩/٢.
- (٤٣) الداروينية الاجتماعية: وهي نظرية اجتماعية تقوم على أفكار دارون في تحقيق التطور عن طريق الانتخاب الطبيعي، ووفق هذه النظرية الانتخاب الطبيعي لا يفسر فقط تطور الاحياء البيولوجي، بل يمكن تطبيقها لفهم تطورات وتغيرات التجمعات الاجتماعية البشرية. ينظر: المعجم الفلسفي، مصطفى حسيبة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، ط١، ٢٠٠٩م، ص٢١٨.

- (٤٤) ينظر: رحابة الإنسانية والإيمان، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط١، ٢٠١٢م، ص٨٥-٨٦.
- (٤٥) ينظر: علم الاحياء والايديولوجيا والطبيعة البشرية، ستيفن روز وآخرون، ترجمة: مصطفى إبراهيم، سلسلة عالم المعرفة (١٤٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، ١٩٩٠م، ص٣٣.
- (٤٦) ينظر: تهافت نظرية دارون، أورخان محمد علي، ص٧.
- (٤٧) هيكل، إرنست هاينريخ: (١٨٣٤ - ١٩١٩م)، فيلسوف وعالم طبيعيات ألماني. ولد في بوتسدام، درس الطب والعلوم الطبيعية في برلين حصل فيها على شهادة الدكتوراه، درس علم التشريح، وعلم الاجنة، تعرف على دارون، وغدا من أشد أنصاره حماسة، عين مديرا لمتحف العروق والأنواع، ومن مؤلفاته، "علم تكوين الإنسان" و "محاولات في علم النفس الخلوي". ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص٧٢٥.
- (٤٨) فضائح التطوريين - مظاهرها، أسبابها، آثارها، خالد كبير علال، دار المحتسب، د ط، د ت، ص٢٠-٢١.
- (٤٩) ينظر: خديعة التطور، هارون يحيى، ص٧١-٧٢.
- (٥٠) ينظر: أطلس الخلق، هارون يحيى، نسخة مدونة على النت، نتائج البحث الويب تحميل كتاب أطلس الخلق المجلد pdf - مكتبة نور لتحميل الكتب www.noor-book.com... كتاب-أطلس-الخلق-المجلد-pdf-ص٦٦٢.